

التشكيلة الاجتماعية للمشرق والمغرب العربي

وتواصل العادات والتقاليد

أ/ زبيدي عا نشة

علم الاجتماع

جامعة الجزائر2

-لمحة تاريخية:

إن مصطلح المشاركة يشير إلى الجناح الشرقي من العالم العربي ابتداء من مصر مروراً بـ لبنان وسوريا والعراق وفلسطين والأردن، ويمكنها أن تتسع لتشمل أقطار الخليج والجزيرة العربية إلى اليمن. وقد يختصر مدلول المشاركة في عدد أقل من البلدان التي يمكن أن تتناقص فتغدو واحدة هي (مصر) على نحو ما نجد في الكتابات المغاربية.

وهناك علاقات تضاد عاطفي تحولت أحياناً إلى علاقات نفور استبدلت الثقافة التي ينتسب إليها أهل المشرق بثقافة أخرى.

أما مصطلح المغاربة فهو يستخدم على سبيل التوسع الكامل ليشمل كل أقطار المغرب العربي أو الأقطار المغاربية، ابتداء من ليبيا مروراً بتونس والجزائر والمغرب وانتهاء بموريتانيا. وقد تستخدم الكلمة على سبيل التغليب فتعني تونس والمغرب والجزائر، أو تستخدم على سبيل الاختصار الذي يختزل المغرب في تونس والجزائر، أو الذي يقصد إلى قطر واحد هو (المغرب).

وهناك ثنائية ثقافية تعطي مظهراً واضحاً بين ثقافة مغاربية (فرانكوفونية) وثقافة مشرقية (أنجلوفونية) أي اللغة الفرنسية للمغاربة والإنجليزية للمشاركة، وبالتالي التعارض الثقافي بين الفرنسية والإنجليزية الذي أنتج تعارضاً على مستوى الدراسات الفكرية وغلبة المدارس الفرنسية على الخطاب الفكري للمغاربة، وغلبة المدارس الأوروبية الأميركية على الخطاب المشارقي خاصة في ميدان الترجمة. ونجد أن ثنائية (مشرق ومغرب) تتصل بثنائية (المركز والأطراف). وإن العلاقة تتطوي بين الطرفين على تعارض مبني على الصراع والرغبة على التفاعل والتعاون والاعتماد المتبادل ومن ثم الكيفية التي تعني التفاعل وسهولة الاتساع الثقافي وتفعيل المشاريع الفكرية. وما له دلالة إيجابية على ذلك هي الأشكال الثقافية المشتركة والمتعددة وأعماها هي التشكيلة الاجتماعية وتواصل العادات والتقاليد.

إن التنوع هو مبدأ أول للثقافة، وإثراء التنوع ثانياً، واستمراريته المكانية والزمانية، وإثبات أن القطيعة الإيستمولوجية بين المشرق والمغرب غير موجودة، بل هناك علاقة تواصل وتبادل.

- مصطلح الشرق الأوسط:

هو المنطقة التي تلتقي عندها قارات أوروبا وآسيا وإفريقيا، كتحديد جغرافي، أي التحديد الدقيق للبلاد التي يضمها وهي مسألة أخلاقية لها عدة اتجاهات، أولاً: أنه استعمل إشارة إلى طرق الهند من الغرب إلى الشرق التي تخص بريطانيا، وشاع هذا الاصطلاح أثناء الحرب العالمية الثانية على يد (الحلفاء) للإشارة إلى الإقليم الممتد من جنوب آسيا إلى شمال إفريقيا. ومن ثم أخذ يتميز تدريجياً عن مصطلحات أخرى مثل: (الشرق الأدنى - المشرق العربي) جاء من خلال الاستعمار البريطاني ثم الأميركي، وهو يتميز بتنوع ثقافي، ديني، لغوي، عرقي (سام، عربي، يهودي، تركي، آري، كردي) من ناحية العرق واللغة. أو ما يسمى بالأقليات اللغوية والعرقية التي أعطت مصطلح (فسيفساء الشرق).

يحتوي المشرق العربي على أقليات متعددة من حيث اللغة والحضارة والثقافة. ففي لبنان حيث يشكل المسيحيون العرب (موارنة وروم وأرثوذكس وروم كاثوليك وبروتستانت) 33% من السكان، والمسيحيون غير العرب (الأرمن «الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت» والسريان واللاتين والأقباط) 5%، كما يشكل الدروز 6%، والعلويون (كالدروز من الشيعة الباطنية)، والأكراد، والترك وكل منهم يشكل نحو 1% من السكان، استغلت القوى الأجنبية وبعض القوى المحلية هذه التركيبة الطائفية المعقدة من أجل تحقيق مصالح سياسية واقتصادية، وذلك منذ القرن الثامن عشر. غير أن ذروة هذا الاستغلال ظهرت خلال الحرب الأهلية اللبنانية بين 1975 إلى 1990. وفي الجزائر، يشكل البربر السنة (أهمهم الشاوية والقبائليون والشلوح) 26% من السكان، فيما يشكل كل من المسيحيين العرب 1% من السكان، وكذلك الأباضيون (المزابيون، وهم من البربر)، والطوارق (بربر سنة من البدو الرحّل)، والمسيحيون البربر (خصوصاً في جبال القبائل).

أيضاً في المغرب يشكل البربر (مسلمون سنة أهمهم الريفيون والأمازيغ والشلوح) 36% من السكان، والطوارق (بربر من البدو الرحّل) أقل من 1%، واليهود 0.2%، والأوروبيون (الغالبية الساحقة مسيحيون) 1%، والأفارقة (الزنج) أقل من 1%. ولا يختلف الحال مع موريتانيا، التي يشكل المولّدون (عرب وبربر) فيها نسبة 40%، والأفارقة 20%، البربر (بمن فيهم الطوارق) 2.5%، غير أنه بسبب نسبة الأفارقة الكبيرة وسط السكان لا يزال الرق أحد الممارسات الاجتماعية التي تسبب مشاكل داخلية كبيرة، وتضر علاقات موريتانيا مع المجتمع الدولي.

وفى الصومال لا تقارب نسبة العرب أكثر من 1٪ فقط من السكان، فيما يشكل الصوماليون 95٪ من السكان، فيما الأفارقة (من قبائل البانتو) 2٪، والآسيويون 1٪.

وفى مصر، يشكل الأقباط (معظمهم من الأرثوذكس، مع أقلية من الكاثوليك وأقل منها من البروتستانت) 9٪ من السكان، يليهم النوبيون (بمن فيهم الكنوز وجماعات أخرى) ويشكلون 2٪، والأرمن والأوروبيون واليهود ويشكلون 1٪، كما يوجد بجا (ومنهم البشارية) والبربر (السيويون)، وأفارقة آخرون وغجر وهؤلاء جميعا يشكلون نحو 3٪ من السكان. بدورها تتميز اليمن بتجانس عرقي وديني أكبر. والأقليات فيها قليلة النسبة لا تتعدى 5٪ من إجمالي السكان، فطائفة الإسماعيليين (الإسماعيلية المستعلية التي تشمل «البهرة» وتختلف عن الفرقة النزارية الأغاخانية وينتسب معظمهم إلى جبال حراز) تشكل 2٪ من عدد السكان. أما اليهود (من سكان اليمن القدامى، وقد هاجر معظمهم إلى إسرائيل) فيشكلون 1٪، والإيرانيون 1٪، والهنود (بقايا من عهد الاستعمار البريطاني منهم نسبة من الزرادشتيون/البارسي) 1٪، أما الصوماليون فيشكلون أقل من 1٪

باقي البلاد العربية تتمتع أيضا بتنوع عرقي ولغوي وديني كبير، غير أنها ربما نجحت أكثر في تجاوز الكثير من سلبيات الموروث القبلي والطائفي. وفى سلطنة عُمان، يشكل الأباضيون (كبرى فرق الخوارج وأكثرها اعتدالاً) 80٪ من السكان، فيما يشكل الآسيويون من غير العرب (معظمهم من الباكستانيين والبلوش والإيرانيين) نحو 17٪، أما الأفارقة (زنج) فيشكلون 2٪.

وفى المملكة العربية السعودية، يشكل الإسماعيليون (من المستعلية في جبال عسير المتاخمة لليمن) 3٪ من السكان. أما الأفارقة (من مختلف الشعوب الإفريقية، مثل النوبيين والكنوز والزغاوة والبقارة والمساليت، والتكرور والصنغاي والهوسا والفلولاني «الفلانة» والجيرما «الزيرماويون» والكانوري والولوف والسيرير وغيرهم) فهم نحو 5٪، فيما يشكل الآسيويون (إيرانيون وهنود وترك وصينيون وأفغان وبلوش وملاييون وغيرهم) 5٪ أيضا.

وفى دولة الإمارات العربية المتحدة، يشكل السكان من أصل إيراني 12٪ من السكان، والآسيويون من غير الإيرانيين (الهنود والباكستانيون والبنغلادشيون والبلوش وغيرهم) 50٪، أما المسيحيون (العرب والأجانب) فهم 2٪، الهندوس 3٪. وفى قطر، يشكل الإيرانيون (بمن فيهم البلوش) 10٪ من إجمالي السكان، فيما يشكل الباكستانيون (بمن فيهم البلوش) 18٪، والهنود 18٪، والهندوس 3٪، والمسيحيون العرب وغير العرب 2٪ من السكان.

كذلك يوجد في البحرين العديد من الأقليات العرقية والدينية، مثل الإيرانيين، ويشكلون 10٪، والآسيويون من غير الإيرانيين (الهنود والبلوش والباكستانيون وغيرهم) 17٪، والأوروبيون، 2٪. أما في الكويت فيشكل المسيحيون العرب (من مختلف الطوائف) نحو 8٪ من السكان، فيما الإيرانيون 5٪، والآسيويون (الهنود والباكستانيون والبلوش والبنغلاديشيون وغيرهم) 9٪.

وفي الأردن يشكل المسيحيون (معظمهم عرب من الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك ومنهم عشائر بدوية) نحو 5٪ من السكان، أما الشراكسة (مسلمون سنة، منهم الأبراخ والقبرطاي والبيزادوغ والشابسوغ) فيشكلون 1.6٪. وهناك أيضا الشيشان (مسلمون سنة)، والأرمن الأكراد، والتركمان وهؤلاء جميعاً لا يشكلون نحو 1٪ من السكان، فيما يشكل الدروز نحو 25 ألف نسمة.

وفي سورية يوجد العلويون بكثافة في محافظات اللاذقية وطرطوس وحمص وهم يشكلون 10٪ من السكان، والدروز 4٪، والإسماعيليون (الفرقة النزارية الآغاخانية، أهم مراكزهم بلدة سلمية) 1٪، والمسيحيون العرب (معظمهم روم أرثوذكس وروم كاثوليك وموارنة، في معظم المدن السورية ووادي النضارة - تتقاسمها محافظتا حمص وطرطوس)، ومنهم عشائر بدوية استقرت خلال القرن الماضي في محافظات السويداء ودرعا والقنيطرة) 7٪. أما المسيحيون غير العرب (اليعاقة «السرمان» واللاتين والأرمن، لهم وجود كثيف في شمال سورية خصوصاً فهم 3٪، والأكراد (يشكلون كثافة سكانية في المناطق الحدودية بشمال سورية لا سيما محافظة الحسكة) يشكلون 4٪، والترك (وبالذات التركمان، ينتشرون في مناطق مختلفة من سورية) فيشكلون 1٪، أما الشراكسة فهم 1٪، فيما اليهود (هاجر معظمهم من دمشق وحلب) أقلية ضئيلة.

العراق: - المسيحيون غير العرب 3٪ - الصابئة المندائيون أقل من 1٪ - الأكراد 18٪ - الإيرانيون 1.5٪ - التركمان 2٪

سورية: - العلويون 10٪ - الدروز 4٪ - الإسماعيليون 7٪ - المسيحيون غير العرب 3٪ - الأكراد 4٪ - الترك 1٪ - الشراكسة 1٪

الأردن: المسيحيون 1.5٪ - الشركسي 1.6٪ - الشيشان أقلية ضئيلة - الأرمن 0.5٪ - الأكراد 0.3٪ - التركمان 0.12٪

لبنان: - الدروز 6٪ - العلويون أقل من 1٪ - المسيحيون العرب 33٪ - المسيحيون غير العرب 5٪
- الأكراد 1٪ - الترك أقل من 1٪

مصر: النوبيون 2٪ - البجا (ومنهم البشارية) أقل من 0.5٪ - البربر (السيويون) أقل من 0.5٪
- أفارقة آخرون وغجر 2٪ - الأقباط 9٪

- البدو:

العرب في عهودهم الأولى كانوا قبائل رحلا يتتبعون مساقط الغيث ومنابت الكلا لإبلهم وإذا كان القليل منهم قد استقر في الواحات وحول منابع المياه فهذه حالة استثنائية، لأن الأكثرية الساحقة منهم ظلوا أهل بادية ونجع. ويأخذ التنظيم الاجتماعي للبدو في الوطن العربي شكلا من المجتمعات الأخرى، كقيامه على نظام القرابة ووحدة الدم والتقسيم العشائري واعتماد الرعي وتربية الحيوان، مصدرا أساسيا للدخل والمعاش.

التقسيم العشائري:

يقوم التنظيم الاجتماعي للبدو على التقسيم العشائري الذي يعتمد على القوة والتي هي أكثر المعايير أهمية من أجل السيطرة وبسط النفوذ على أرض العشيرة. وتقسم العشيرة إلى أفخاذ والفخذ الواحدة تقسم إلى بطون والبطن إلى فصائل والفصائل إلى عدة أسر ممتدة ومن ثم إلى أسر محدودة، وقد يصل عدد أفراد العشيرة إلى عدة آلاف. وتعتبر الأرض هي أساس الصراع والتنافس.

وينتشر سكان البادية من امتداد شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وحوض النيل والمغرب العربي، حيث تتداخل العشائر في هذه المناطق فيما بينها وتتداخل فيها العادات والتقاليد المتشابهة مثل: الكرم والمساعدة وإغاثة الملهوف والاستجارة التي تسمى العولة في شبه الجزيرة العربية كما هي في المغرب العربي. ويتشارك البدو في هذه المناطق عادات اللباس (لباس الرأس، ولباس العباءة) للرجل والمرأة وعادات الزواج (زواج الأقارب) وأشكال إقامة الأفراح والمآتم.

- إن البيئة التي كانت البادية أساسها (تاريخيا) تجلت في النظم الثقافية والحضارية التي أنتجها العرب في تاريخهم، فالمعايير الاجتماعية الضابطة للسلوك والأخلاق العامة التي يتحكم إليها الأفراد في علاقاتهم، والمنتجات الثقافية (الشعر - الأدب) جاءت متأثرة بشروط البيئة البدوية وتحمل خصائصها وامتد أثر البادية في الحياة العربية حتى صارت معايير الحروب والصراعات والاتفاقات السياسية مرهونة بشروط البيئة المحيطة.

—ويأخذ التنظيم الاجتماعي للبداوة في الوطن العربي شكلا تقترب من خطوطه العريضة من نظائره في المجتمعات الأخرى مثل (آسيا الوسطى وأفغانستان وغيرها) كقيامه على نظام القرابة ووحدة الدم والتقسيمات العشائرية واعتماد الرعي وتربية الحيوان، مصدرا أساسيا للدخل. وغير ذلك من الخصائص التي أخذت بالظهور منذ سنين.

– النشاط الاقتصادي:

يعتمد سكان البادية الرعي وتربية الحيوان مصدرا أساسيا للدخل (إبل - ضأن - ماعز) بما يسمى البدو الجمالة والبدو الغنامة. وتعد تربية الإبل ذات أهمية لمقدرتها على التفاعل في البيئة الصحراوية والجافة، حيث صعوبة أحوال المعيشة وقلة انتشار المياه. وتعد وحدة الأرض أساس صراع وتنافس وقد عرف البدو شكلا من أشكال التنظيم الاجتماعي بهدف السيطرة بما يسمى (نظام الحمى).

– التوزيع الجغرافي:

ينتشر سكان البادية العربية على امتداد شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وحوض النيل والمغرب العربي. وتتداخل العشائر الموجودة في هذه البلدان، غير أن تنقلاتهم اليوم أصبحت محدودة بسبب عقبة الحدود السياسية والإدارية.

– إن ظاهرة البداوة تختلف في انتشارها بين دول الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق والمغرب العربي، فهي أكثر انتشارا في الجزيرة العربية مما هي في العراق وبلاد الشام، حيث تزداد نسبة السكان المستقرين في المدن والمناطق الحضرية والذين زالت عنهم صفة البداوة من حيث كونها نشاطا اقتصاديا، ومن حيث كونها تنظيمًا اجتماعيًا وأصبح السكان يتميزون بأعمالهم ومهنهم الاقتصادية. ولم يعد للانتماء العشائري القوة نفسها في اليمن والخليج العربي التي يظهر فيها التنظيم الاجتماعي للبداوة حتى بين سكان المدن والمراكز الحضرية. ويميل فيها البدو إلى الاستقرار والانفصال من مرحلة البداوة إلى شبه البداوة.

– مستقبل البداوة:

تدل مظاهر التغير الاجتماعي في بنية البدو وطبيعتها أن أشكالها آخذة في التراجع والاضمحلال، خاصة مع توسع استخدام المواصلات والاتصالات، هذا ما جعل التواصل مع الآخرين مفروضا.

إن التغير الاقتصادي للبداوة أكثر سرعة من تغير الأساس الاجتماعي، وذلك انتقال البداوة في أشكالها الاجتماعية إلى مناطق استقرار في المدن، وما زالت العلاقات العشائرية (تنافس -

صراع- تحالف) رغم مظاهر الاستقرار ورغم أن الأدوات ووسائل العيش مختلفة، ولكنها ضعيفة، خاصة تطور الدولة الحديثة وسيطرتها على جميع الأراضي (السلطة).

وبالتالي إن التغير الاجتماعي يمس بنية العلاقات الاجتماعية ضمن هذه السلطة. وإن عامل التنوع السكاني في المدن والانفتاح قوضت البداوة وهددت مستقبلها.

التراث:

وهو ما ينتقل من عادات وعلوم وآداب وفنون من جيل إلى آخر وهناك تراث إنساني وتراث أدبي وتراث شعبي والذي يشمل المأثورات الشعبية من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شعبية وقصص وحكايات وأمثال وعادات الزواج والمناسبات المختلفة تمتاز بطرق الأداء والأشكال والمهارات.

- العادات والتقاليد:

مقدمة: تشكل العادات والتقاليد الشعبية بين بلدان المغرب والمشرق العربي اهتماما اجتماعيا لدى الناس، في عدة أحوال اللقاء والتعارف وحتى في المشاهدات الإعلامية أو الترفيهية وخاصة بعد التطور الذي شهدته التكنولوجيا وبظهور الأنترنت والتواصل السريع عبر العديد من الوسائل، بالإضافة إلى ما تشهده المنطقة العربية من تغييرات سياسية ودوافع اجتماعية تطلب النهوض بالمجتمعات العربية التي تزخر بالثقافات المتعددة وأنماط الحياة المتنوعة.

إن الأمور التي يفضلها الناس في حياتهم ترتبط بأنماط الحياة وأهمها طرق العيش، وإن مفاجآت الحياة تجبر الأفراد على البحث عن أنماط حياة بديلة تستطيع التلاؤم مع الحاجات، وإن التغير أمر جوهري لا غنى عنه من أجل استقرار نمط الحياة وللحفاظ عليه، وإن الناس يتحركون من نمط حياة إلى آخر لتأمين البقاء والاستمرارية. ويبدلون جهودا بارزة وقوية لتحقيق الاتساق في بيئتهم الاجتماعية، وغالبا ما يبحث الأفراد عن علاقات اجتماعية ملائمة لحياتهم ويتجنبون علاقات لا يشعرون براحة فيها، وأيضا العمل لتحقيق الانسجام في سياقهم الاجتماعي.

وقد أشار العالم (جون ألستر) أنه: ربما تتعايش المعتقدات المتناقضة في سلام لفترة طويلة إذا كانت تتعلق بمجالات الحياة المختلفة.

مفهوم العادات والتقاليد:

إن العادات والتقاليد تحتويها الثقافة كجزء من الاستمرارية والاستقرار وتربط الموروث الحضاري، ومن حيث إن الثقافة هي مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والأعراف، وغير ذلك من الإمكانيات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع.

إن هذا التعريف يبرز العناصر اللامادية لحياة الناس في جماعة والتي تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي، وتأخذ الطابع الإلزامي إلى جانب العناصر المادية للثقافة. بالإضافة إلى العلاقات بين الناس وبين العناصر المكونة للثقافة.

الثقافة إذا نراها في:

1- الانحياز الثقافي.

2- علاقات اجتماعية.

3- أنماط وأساليب العيش.

العادات: هي علم دراسة سلوك الكائنات الحية في محيطها الطبيعي، من خلال مراقبتها عن بعد ودون الاعتماد على التواصل، ويمتلك الكائن البشري أدوات تلقى تتيح له إدراك المسافة مثل: البصر- السمع- اللمس- الشم- والإدراك الحسي العضلي، بالإضافة إلى أن إدراك الحيز المكاني يتشكل من خلال الثقافة ويتغير بالتالي حسب المجتمعات. والعادات هي جمع لكلمة عادة، وهي من الفعل تعود، أي تلك الأشياء التي درج الناس على القيام بها وتكرر عملها حتى أصبحت مألوفاً. وهي نمط من السلوك أو التصرف يعتاد حتى يفعل تكراراً، ولا يجد المرء غرابية فيها، ولا يجب إنشاء عادات جديدة خشية على العادات المتوارثة وخوفاً أن يكون في هذه العادات الجديدة ما يفقد مجتمعهم مواصفاته المفضلة.

1- **هناك عادات فردية:** أي عادات شخصية، طرق العيش، طرق الكلام، طريقة التفكير، أي ارتباطها بأذواق الأفراد واتجاهاتهم واهتماماتهم، وهناك فروق في القدرات والذكاء.

2- **هناك عادات اجتماعية:** وهي ممارسات تتطلبها الحياة الاجتماعية وهي تعبير تتناقله الأجيال المتعاقبة في مجتمع معين لتلبية مستلزمات الحياة اليومية. وتعتبر العادات الاجتماعية ظاهرة اجتماعية تتميز بها المجتمعات عن بعضها البعض، فلكل مجتمع عاداته وتقاليده وأسلوبه الخاص في حياته. وهي سلوك متكرر، مكتسب اجتماعياً، ويتعلم اجتماعياً. مثال: التحية.

- مميزات العادات الاجتماعية:

- تلقائية- إلزامية- اتصالها بنواح أسطورية وعناصر خرافية- التنوع والنسبية (حيث إن هناك عادات غريبة في مجتمع ما ومحبة في مجتمع آخر)- الرغبة في التمسك بها.

- وظائف العادات الاجتماعية:

1- وظيفة اقتصادية- 2- وظيفة إرشادية- 3- وظيفة فنية- 4- وظيفة تنبؤية.

- أنواع العادات الاجتماعية:

1- عادات اتفاقية - 2- عادات تقليدية - 3- عادات عرفية - 4- عادات حديثة ومستجدة (الموضة).

ب- التقاليد الاجتماعية:

وهي ممارسات اجتماعية مكتسبة: وهي أشكال سلوكية وتصرفات جماعية، وهي اتفاق جمعي بين أعضاء الجماعة الواحدة.

- مجالات التقاليد:

تظهر التقاليد من خلال: 1- الشعائر والطقوس والمراسيم . 2- الرموز: وهي عبارة عن حركة وإشارة تنقل فكرة أو تستثير شعورا، وتعتبر اللغة نوعا مهما من أنواع الرموز التي تنقل الفكرة . 3- الاحتفالات.

- خصائص التقاليد:

1- الاكتساب - 2- التمسك - 3- الإصرار - 4- صعوبة تغييرها - 5- الشعور بالأمن والطمأنينة.

- عوامل تطور التقاليد:

1- انتقال المجتمع من شكل بسيط بدائي إلى شكل معقد.
2- تطور نظام الأسرة.
3- تقدم وسائل المواصلات وسهولة التنقل.
4- ظهور الاختراعات.
إن للتقاليد دورا مهماً في الضبط الاجتماعي وهي مثل القوانين، ولكنها ليست مكتوبة وتعمل على التماسك الاجتماعي.

-المشرق العربي:

تعتمد العادات والتقاليد في المشرق العربي على عنصرين مهمين وهما: الموقع والتاريخ الثقافي من حيث الأصول والأنساب. وتحتل مسألة النسب والتي تعني ببساطة واختصار النسب والانتساب إلى جماعة معينة، أهمية خاصة لدى الناس في الوسط الشعبي، واعتنى الناس بأنسابهم وأخبار أصولهم ولقنوها للأبناء والأحفاد.

وقد ترتب على مسألة الأصل هذه امتيازات معنوية ومادية مثل توارث الألقاب وامتيازاتها وتبعاتها. وفي الطبقات الشعبية ترتب على مسألة الأصل أمور مهمة تتعلق بالمصاهرة التي غالباً كانت تنحصر ضمن القبائل والعشائر للحفاظ على الأصل.

حيث يتفاخر الناس بالوسط الشعبي بأنسابهم ويزدرون من هم أقل نسباً.

- أشرف النسب:

هم من ينتسبون إلى أصول عربية إسلامية شريفة تتصل بصحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم من المهاجرين والأنصار. ويتزعمهم نقيب عام منتخب من بين أهل العلم، ويترتب على الانتساب للعشيرة الالتزام برغباتها ومن يلتزم برغبات العشيرة وأوامرها يسمى (ابن أصل). ومن تلك الالتزامات أنه يتوجب على المرء أن يشاور في تزويج بناته أو في بيع أرضه لأن أولاد العمومة أولى بذلك.

-المغرب العربي؛

كان المغرب مسكوناً منذ ملايين السنين وتدل على ذلك الكثير من الأبحاث الأثرية حيث وجد الإنسان القفصي والحضارة القفصية من زراعة واستعمال المحراث والصيد.

هذه الحضارة كانت حضارة بربرية مستقلة وسابقة للحضارة الفينيقية، ولكن لم يهتم أحد بهذه الحضارة وتاريخ هذه المنطقة نقلته إلينا مصادر أجنبية. وقد دخلت التاريخ في القرن السادس قبل الميلاد وأثناء الصراع الإغريقي-الفينيقي على البحر المتوسط، وهذا التاريخ تناول الوجود الأجنبي وأهم الحضارة المحلية تماماً.

كان البربر وهم السكان الأصليون منتظمين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً، حيث اعترف بذلك الفينيقيون عندما هزموا على يد البربر.

كان البربر منتظمين تحت سلطة قوية موحدة تجسدت في زعماء قبائل قوية مثل: كفيا الماسيلي وماسينيسا وسفاقس ويوغورطة وغيرهم.

أنشأ ماسينيسا مملكة كبيرة حافظ فيها على البناء الاجتماعي الأصل الذي كان سبباً في قوته. وأثبت أن المغرب ليس تاريخ صراع القبائل. وقد ازدهرت الزراعة في عهده وصدر إلى روما مليون باشل من القمح، وحاول توحيد شمال إفريقيا البربرية، وبعد وفاته حافظت القبائل على بنيتها الثقافية ولغتها.

كان المغرب العربي يتألف من: الروم والإفرنج والرومان والأفارقة والبربر ويمثل الروم السلطة العسكرية، والإفرنج هم ملاك الأرض، والأفارقة هم عامة الناس من سكان المدن وهم مزدوجو اللغة ودينهم المسيحية.

أما البربر فكانوا منتشرين في الأرياف والجبال والصحراء.

تولى البربر القيادة مع المسلمين وحملوا الراية الإسلامية وتزعموا فتوحات كبرى كفتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد. وظهرت دويلات إسلامية بربرية مثل: المرابطين والموحدين والمرينيين والزيانيين والحفصيين.

ويمكن لنا أن نرى المغرب من محاور ثلاثة: وهي محاور ثنائية.

- - - - محور العرب والبربر

- - - - محور المدينة والريف

- - - - محور الدولة والأرض (الملكية)، خاصة الملكية البعيدة عن المدن وهي ملك البربر. التي يمنع فيها بيع الأرض ويمكن توريثها واستغلالها.

- العادات والتقاليد الشعبية وأوجه الاختلاف والتشابه:

تمثل دورة الحياة اليومية (الميلاد - الزواج - الوفاة) جانبا كبيرا من العادات والتقاليد، وفي مثل هذه المناسبات الشعبية المهمة والتي تسمى مراحل العبور (الانتقال الاجتماعي من مرحلة إلى أخرى).

ترسخت فيها أنماط من العادات والتقاليد التي قد تصل إلى مستوى القانون الاجتماعي المعترف به، وإذا تصفحنا سجل الحياة الشعبية لدى المكانين الجغرافيين (المشرق والمغرب) وجدنا فيه الكثير من العادات والتقاليد الواحدة والمتشابهة مثل: تقاليد الضيافة والزيارات والمواسم الشعبية والأعياد والتعامل اليومي وما اتصل بالمراسيم الاجتماعية في التهنئة والعزاء والتبرك، إلى غير ذلك مما شاع بين الناس.

1- تقاليد التحية والمجاملة.

2- تقاليد الجوار، حيث للجوار في الوسط الشعبي حقوق على جاره يجب مراعاتها لأنها بمنزلة قانون عرفي.

3- تقاليد الولادة: والتي هي أهداف الزواج الرئيسية. ويعلق الناس في الوسط الشعبي أهمية كبيرة على جنس المولود، ويفضلون الذكور والأسباب عديدة، ويعود الموقف الشعبي من جنس

المولود إلى أسباب اقتصادية ومعنوية، فالولد خير عون لأبيه في أمور معاشه، على حين أن البنت تربيها الأسرة لتعمر بيتا آخر بعد زواجها، والابن يعطي قيمة معنوية للأسرة باعتباره أحد المدافعين عن مكانتها وشرفها، والبنت هي أحيانا مدعاة قلق أهلها (هم البنات للممات) وفي أحيان كريمة أخرى هي خادمة مطيعة لأمها. وهي تبدل بعروس أخيها عند بعض العادات الشعبية.

4- تقاليد الختان (الطهور) وهو من أهم الأحداث في حياة الوالدين والأسرة. وهذا الاحتفال يضاهي الاحتفال بالولادة والزواج. وتسبقه ليال للفرح والاحتفال.

5- تقاليد التربية: وهي نقل المعارف في البيئة الشعبية المتوارثة وقيمها إلى الأطفال وغرس القيم التي تعينهم على الحياة داخل المجتمع وعلى كيفية امتلاك وسائل العمل لكسب العيش. ويتعلم الطفل بالملاحظة والإيماء وتنتقل العادات والتقاليد التي يرضاها المجتمع من جيل إلى جيل آخر عن طريق المحاكاة والاكتساب.

6- تقاليد الزواج: أي قيام حفلات العرس بعد عملية الخطوبة وانتقاء العروس.

7- تسمية الأبناء: جرت العادة عامة في تسمية الأطفال أن تسمى الأم ابنتها الأولى باسم أمها وقد اعتاد الأب أن يسمى الابن الأول باسم أبيه، وكان الناس في الماضي يتحاشون تسمية الابن على اسم جده وهو حي في بعض مناطق الشرق العربي لأن ذلك يعتبر شؤما ينذر بالموت للجد. وفي العقود الأخيرة أصبح من المعتاد أن يسمى الرجل باسم أبيه وأصبح ذلك تقليدا متبعا. ولا يسمى الولد باسم أبيه إلا إذا كان الأب متوفى قبيل أو فور ولادة الابن وفي ذلك ما يواسي الناس وبأن رجلا حل محل رجل آخر وعندما يشك أولياء الأمور في أنهم اختاروا اسما غير مناسب قد يتسبب ذلك في وفاة الأولاد.

وفي قول أحدهم: كنا ننجب الأطفال ويموتون، فنصحنا الشيخ بأن نسمي اسم الولد الجديد (نمر) وكان نمر هو الولد الوحيد الذي عاش لنا وبقي حيا.

وقال آخر: قال الوالد رحمه الله، بأنه كان ينجب الأطفال فلا يعيشون، فنصحنا الناس بأن يسمى الأبناء على أسماء الوحوش (ذيب، فهد..).

ويعود هذا الاعتقاد إلى ممارسة سحرية بدائية عاشت مع الإنسان منذ أولى مراحل الحضارة الإنسانية عندما كان يعتقد بأن المرض أو الموت هو بمثابة كائن حي يصارع الإنسان وأن حمل الإنسان لاسم وحش يعينه على مصارعة الموت.

ويستشار المنجم أو الشيخ في تغيير اسم الولد أو البنت إذا كان المولود دائم البكاء والصراخ ويغير اسم الزوجة إذا حصلت مشاكل مع زوجها، ويعتقدون أن نجم مثل هذه الزوجة لا يتطابق مع نجم زوجها.

وبالطبع فإن هذا المعتقد يعود أيضا إلى اعتقاد إنساني بدائي بالقدرة السحرية للأسماء بحيث إن اسما لا يمكن أن يؤدي إلى الفشل أو النجاح.

8- تقاليد الوفاة (المآتم): تصاحب حالة الوفاة عند أهل المتوفى إقامة ولأئم العشاء، ما بعد الدفن مباشرة وما يسمى بالثلاثة أيام بالإضافة إلى العديد من الأشكال من تقديم القهوة والشاي والكثير من المأكولات.

بالإضافة إلى إقامة ساعات الذكر والترتيل والمديح الديني.

9- تقاليد الضيافة: العادات العشائرية أو القبائلية: وأكثر ما نراها عند أعراف البدو، والتي هي بمنزلة قوانين رسمية لديهم وتوارثوها جيلا عن جيل، ولكل قاض في البدو اختصاص بنوع من الأعراف والتقاليد ومنهم:

- - أهل الديار: وهم الذين يفصلون في خلافات الأرض.

- - أهل الرسان: وهم الذين يحكمون في قضايا الخيل.

- - المناشد: وهم الذين يحكمون في قضايا العرض والشرف.

- - الزيود: وهم الذين يحكمون في قضايا المال.

- - القصاصون: وهم الذين يحكمون في قضايا القتل.

بالإضافة إلى بعض العادات المتصلة بمظاهر الحياة الشعبية، ويحق للمرأة البدوية - حسب العادات - مجالسة الرجال واستقبال الضيوف والمشاركة في الغزو والحرب، وبالمقابل المرأة لا ترث عند البدو وحتى لدى الفلاحين، من حيث إن المرأة ستقل الميراث إلى أسرة أخرى (أسرة زوجها). وعند وفاة المرأة ترث ابنتها حليها ومصاغها وأفرشتها، في حين يرث الولد الذكر الأراضي والمال.

أما بالنسبة إلى اختيار الزوج للمرأة غير المتزوجة فليس لها حق في ذلك، ولكن الحق للمرأة المطلقة أو الأرملة أن تختار زوجها.

-اللهجات في المنطقة العربية:

فصيلة شمالية: شرقية (بابل - آشور)

(1- شرقية: سريانية- - - - صائبة- - - - نبطية)

(2- غربية: سامرية- - - - تدمرية- - - - آرامية)

فصيلة وسطى: فينيقية- عبرية- - - - كنعانية

فصيلة جنوبية: عربية شمالية: عربية فصحي

لهجات رئيسية: (مصرية- مراكشية- عراقية- سورية- جزائرية- لبنانية- تونسية)

جنوبية: (حمير- سبا) حبشية.

- المصدر: الموسوعة العربية للتاريخ- دمشق 1989-

المراجع العربية:

- 1- إدوارد هال-البعد الخفي- المطبعة العربية- بيروت- 1966
- 2- جابر عصفور- المشاركة والمغاربة- العربي- عدد 65- الكويت- 2006
- 3- جلال السناد- الخبرات الاجتماعية والوجدانية- مطبعة دمشق- 2006
- 4- حسن المقبل- البدو وواقع حالهم وما كتب عنهم- دار الإرشاد- دمشق- 1996
- 5- سليمان عبيدات- عادات وتقاليد المجتمع الأردني- مؤسسة المصري- بيروت- 1986
- 6- نمر سرحان- موسوعة الفلكلور الفلسطيني- مؤسسة الدراسات- بيروت- 1986
- 7- محمد كامل عبد الصمد- عادات وتقاليد عربية- الدار العربية- القاهرة- 2001

المراجع الانكليزية:

1-Barnouw ; V. Culture and personality, The Dorsey Press, inc, Illinois 1965.

2-E : Taylor. Prinitive culture. John murray. london. /1871